

الاقتصاد و السياسة
في عهد ديكتاتورية البروليتاريا

ياعمال العالم اتحدوا
المكتبة التقدمية

يا عمال العالم ، اتحدو !



الاقتصاد و السياسة في عهد ديكتاتورية البروليتاريا

موسكو
دار التقدم

ترجمة الياس شاهين

من الدار

هذه الترجمة لبحث لينين «الاقتصاد والسياسة في عهد ديكتاتورية البروليتاريا» تمت نقلا عن المجلد ٣٩ من الطبعة الروسية الخامسة لمؤلفات لينين من اعداد معهد الماركسية-اللينينية لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي .

طبع في الاتحاد السوفييتي

Л $\frac{10102-328}{014(01)-81}$ без объявл. 0101020000

لمناسبة الذكرى السنوية الثانية للسلطة السوفييتية ، كنت انوي كتابة كراس غير كبير في الموضوع المذكور في العنوان . ولكني لم اتمكن حتى الآن ، في زحمة الاعمال اليومية ، من تجاوز اعداد اولي لبعض اقسام الكراس . ولذا قررت القيام بتجربة والاقتصار على عرض موجز لاهم الافكار ، حسب رأيي ، في هذا الموضوع . وبديهي ان الايجاز في العرض يتضمن الكثير من المصاعب والشوائب . ولكن الهدف المتواضع الذي ارمي اليه ، وهو طرح القضية ورسم المخطط الذي يستطيع شيوعيو مختلف البلدان استعماله في مناقشاتهم حول هذه القضية ، قد يكون ممكن التحقيق ، مع ذلك ، حتى بواسطة مقال صحفي غير كبير .

١

من الناحية النظرية ، لا سبيل الى الشك بوجود مرحلة انتقالية معينة بين الرأسمالية والشيوعية . ولا بد لهذه المرحلة من ان تنطوي على سمات او خصائص هذين النموذجين من الاقتصاد الاجتماعي . ولا بد لهذه المرحلة الانتقالية ان تكون مرحلة نضال بين الرأسمالية المحتضرة وبين الشيوعية الناشئة ، او بتعبير آخر ، بين الرأسمالية المغلوبة على امرها ولكن التي لم يقض بعد نهائياً عليها ، وبين الشيوعية التي ولدت ولكنها ما تزال ضعيفة جداً .

ان ضرورة مرحلة تاريخية كاملة تلازمها هذه السمات ، سمات المرحلة الانتقالية ينبغي ان تكون امراً بديهياً بحد ذاته ، لا بالنسبة للماركسي وحسب ، بل ايضاً بالنسبة لكل انسان مثقف يلم بنظرية التطور الى هذا الحد او ذاك . ومع ذلك نرى ان جميع الآراء بصدد الانتقال الى الاشتراكية التي نسمعها من ممثلي الديموقراطية البرجوازية الصغيرة المعاصرين (وهم جميع ممثلي الاممية الثانية (١) ، بمن فيهم ماكدونالد وجان لونغه ، وكاوتسكي ، وفريدريخ آدلر (٢) ، رغم واجهتهم الاشتراكية الزائفة) تمتاز بالنسيان التام لهذه الحقيقة البديهية اطلاقاً . ان ما يلازم الديموقراطيين البرجوازيين الصغار هو الاشمئزاز من النضال الطبقي ، هو الاحلام بالاستغناء عن النضال الطبقي ، هو السعي الى التسوية والتوفيق ، الى تدوير الزوايا الحادة . ولذا ، ان هؤلاء الديموقراطيين ، اما انهم يتهرّبون تماماً من الاعتراف بوجود مرحلة تاريخية كاملة من الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، واما انهم يرون مهمتهم في اختلاق خطط للتوفيق بين القوتين المتصارعتين ، بدلاً من ان يقودوا نضال احداهما .

٢

من المحتم لديكتاتورية البروليتاريا في روسيا ان تتميز ببعض الخصائص بالمقارنة مع البلدان المتقدمة ، وذلك بحكم تأخر بلادنا الكبير جداً وبحكم طابعها البرجوازي الصغير . ولكن القوى الاساسية – واشكال الاقتصاد الاجتماعي الاساسية – في روسيا هي نفسها في اي بلد رأسمالي كان ، ولذلك لا يمكن لهذه الخصائص ان تتعلق الا بما ليس هو بالامر الرئيسي .

ان اشكال الاقتصاد الاجتماعي الاساسية هذه هي : الرأسمالية ، الانتاج البضاعي الصغير ، الشيوعية . وهذه القوى الاساسية هي : البرجوازية ، البرجوازية الصغيرة (ولا سيما جماهير الفلاحين) ، البروليتاريا .

ان اقتصاد روسيا في عهد ديكتاتورية البروليتاريا هو نضال العمل الموحّد وفق المبدأ الشيوعي ،– على صعيد دولة شاسعة ،– نضال هذا العمل في خطواته الاولى ضد الانتاج البضاعي الصغير وضد الرأسمالية التي تبقى وكذلك تنبعث على اساس هذا الانتاج .

ان العمل موحد في روسيا حسب المبدأ الشيوعي لانه ، اولاً ، تم الغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، وثانياً ، لان سلطة الدولة البروليتارية تنظّم ، على النطاق الوطني ، الانتاج الكبير في الاراضي والمشروعات التابعة للدولة ، وتوزّع الايدي العاملة بين شتى فروع الاقتصاد والمشروعات ، وتوزّع بين الشغيلة مجمل منتجات الاستهلاك التي تخص الدولة .

اننا نتكلم عن «الخطوات الاولى» التي خطتها الشيوعية في روسيا (كما يقول ذلك ايضاً برنامج حزبنا المقرر في آذار – مارس – ١٩١٩) ، لان جميع هذه الشروط لم تتحقق عندنا الا جزئياً ، او بتعبير آخر ، لان تحقيق هذه الشروط ما يزال في مرحلته الاولى . فدفعة واحدة ، بضربة ثورية واحدة ، تم القيام بما يمكن ، على العموم ، القيام به دفعة واحدة : مثلاً ، منذ اليوم الاول لديكتاتورية البروليتاريا ، في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ (٨ تشرين الثاني – نوفمبر – ١٩١٧) ، الغيت الملكية الخاصة للارض ، دون اي تعويض لكبار الملاكين ؛ وصودرت املاك كبار الملاكين العقاريين . وفي بضعة اشهر ، صودرت ، دون اي تعويض ايضاً ، املاك جميع الرأسماليين الكبار تقريباً ، من اصحاب المصانع والمعامل والشركات المساهمة والمصارف والسكك الحديدية ، الخ . . ان تنظيم الانتاج الصناعي الكبير على اساس حيازة الدولة والانتقال من «الرقابة العمالية» على المصانع والمعامل والسكك الحديدية الى «الادارة العمالية» لها ،– كل ذلك قد تحقق في خطوطه الكبيرة الرئيسية . ولكن هذا العمل ما يزال في بدايته في حقل الزراعة («الاستثمارات السوفييتية» ، اي الاستثمارات الكبيرة التي تنظمها دولة العمال في الاراضي التي تملكها الدولة) . كذلك يكاد يكون في بدايته تنظيم جمعيات المزارعين الصغار بمختلف اشكالها على اعتبار ذلك

انتقالاً من الزراعة البضاعية الصغيرة الى الزراعة الشيوعية * . وينبغي قول الشيء نفسه عن قيام الدولة بتنظيم توزيع المنتجات عوضاً عن التجارة الخاصة ، اي قيام الدولة بتخزين ونقل الحبوب الى المدن ، والمنتجات الصناعية الى الارياف . وسنورد فيما بعد الاحصاءات المتوفرة بهذا الصدد .

ان الاقتصاد الفلاحي ما يزال انتاجاً بضاعياً صغيراً . وفي ذلك للرأسمالية قاعدة واسعة جداً ، لها جذور عميقة ومكينة للغاية . وعلى هذه القاعدة ، تبقى الرأسمالية وتنبعث من جديد ، في اشد اشكال النضال ضراوة ضد الشيوعية . اما اشكال هذا النضال فهي : نشاط «الميشوتشنيك» ** والمضاربة على النقيض من قيام الدولة بتخزين الحبوب (وكذلك سائر المنتجات) ، والمضاربة بوجه عام على النقيض من قيام الدولة بتوزيع المنتجات .

٣

لتوضيح هذه الموضوعات النظرية المجردة ، نورد بعض الارقام الملموسة .

وفقاً لمعطيات مفوضية الشعب للتموين ، بلغ مجمل ما خزنته الدولة في روسيا من الحبوب ، من اول آب (اغسطس) ١٩١٧ الى اول آب ١٩١٨ ، ما يقرب من ٣٠ مليون بود ، وبلغ في السنة التالية حوالى ١١٠ ملايين بود . وفي الاشهر الثلاثة الاولى من حملة

* ان عدد «الاستثمارات السوفييتية» في روسيا السوفييتية يقدر بنحو ٣٥٣٦ استثمارة وعدد «الكومونات الزراعية» بنحو ١٩٦١ ، وعدد الارتيلات الزراعية بنحو ٣٦٩٦ . وتقوم الآن ادارتنا المركزية للاحصاءات باحصاء دقيق لجميع الاستثمارات السوفييتية ولجميع الكومونات . وستعرف النتائج الاولى في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ .

** **الميشوتشنيك** (من الكلمة الروسية – «ميشوك» ومعناها كيس) – مضاربون بالماكولات اثناء التدخل الاجنبي المسلح والحرب الاهلية في روسيا السوفييتية . فقد كانوا يتنقلون عادة من مكان الى آخر حاملين الاكياس . **الناشر** .

التخزين التالية (١٩١٩-١٩٢٠) ، سيبلغ مجموع الحبـــوب المخزونة ، على ما يبدو ، حوالى ٤٥ مليون بود مقابل ٣٧ مليون بود في الاشهر نفسها (آب - تشرين الاول) من عام ١٩١٨ .

ان هذه الارقام تدل بجلاء على تحسن بطيء ولكنه مستمر فيما يتعلق بانتصار الشيوعيـــة على الرأسمالية . وقد تحقق هذا التحسن رغم المصاعب التي لا مثيل لهـــا والناجمة عن الحرب الاهلية التي يدبرها الرأسماليون الروس والاجانب مستفيدين من كل ما لدى اقوى دول العالم من طاقات .

ولذا ، رغم الاكاذيب والافتراءات التي يروج بها برجوازيو جميع البلدان واعوانهم العلنيون والمتسترون («اشتراكيو» الاممية الثانية) ، ثمة امر لا يمكن نكرانه ، وهو ان انتصار الشيوعية على الرأسمالية مضمون عندنا اذا انطلقنا من وجهة نظر القضيـــة الاقتصادية الاساسية لديكتاتورية البروليتاريـــا . واذا كانت برجوازية العالم بأسره قد انفلتت من عقالها وتملكها سعير الغيظ والحقد على البلشفيـــة ، واذا كانت تنظـــم الغزوات العسكرية ، والمؤامرات ، وغير ذلك ضد البلاشفة ، فلأنها تدرك اشد الادراك ان انتصارنا امر محتم فيما يتعلق باعادة تنظيم الاقتصاد الاجتماعي ، هذا اذا لم تسحقنا بقوة السلاح . والحال، ان البرجوازية العالمية لا تنجح في سحقنا بهذه الوسيلة .

اما الى اي حد بالضبط تغلبنـــا على الرأسمالية في الفترة الوجيزة التي اتيحت لنا ، ورغم المصاعب التي لم يسمع بمثلها من قبل والتي اضطررنا للعمل في خضمهـــا ، فتبينـــه الارقام الاستدلالية الواردة ادناه . ان الادارة المركزية للاحصاءات قد هيأت ، بقصد النشر ، معطيات عن انتاج الحبوب واستهلاكها ، لا في عموم روسيا السوفييتية ، بل في ٢٦ محافظة من محافظاتها .

واليكم هذه الارقام : (راجعوا ص ٨) .

وهكذا يتبين ان مفوضيـــة التموين تقدم ما يقرب من نصف الحبوب الى المدن . اما النصف الآخر ، فيقدمه «الميشوتشنيك». وفي عام ١٩١٨ ، اسفر التحقيق الدقيق في حالة تموين عمال المدن عن هذه النسبة بالضبط ، علماً بان العامل يدفع لقاء الحبوب التي تقدمها الدولة سعراً **يقل تسع مرات** عن السعر الذي يدفعه

٢٦ محافظة في روسيا السوفييتية	عدد السكان (بالملايين)		انتاج الحبوب (دون البذار والعلف) (بملايين البودات)	نقل الحبوب (بملايين البودات) من قبل مفوضية التموين	نقل الحبوب (بملايين البودات) من قبل « الميشوتشنيك »	كمية الحبوب الاجمالية التي كانت تحت تصرف الاهلين (بملايين البوادت)	استهلاك الحبوب بالنسبة لكل فرد من السكان (بالبودات)
المحافظات المنتجة	المدن	٤,٤	—	٢٠,٩	٢٠,٦	٤١,٥	٩,٥
	القرى	٢٨,٦	٦٢٥,٤	—	—	٤٨١,٨	١٦,٩
المحافظات المستهلكة	المدن	٥,٩	—	٢٠,٠	٢٠,٠	٤٠,٠	٦,٨
	القرى	١٣,٨	١١٤,٠	١٢,١	٢٧,٨	١٥١,٤	١١,٠
المجموع (٢٦ محافظة)		٥٢,٧	٧٣٩,٤	٥٣,٠	٦٨,٤	٧١٤,٧	١٣,٦

لقاء الحبوب التي يقدمها «الميشوتشنيك» . وهكذا يزيد سعر المضاربة للحبوب الى حوالى **عشر مرات** عن السعر الذي تطبقه الدولة . تلك هي النتيجة التي تقدمها الدراسة الدقيقة لميزانيات العمال .

٤

اذا امعنا التفكير في الارقام المذكورة اعلاه ، وجدنا فيها معطيات دقيقة تبين لنا جميع السمات الاساسية لاقتصاد روسيا في الوقت الحاضر .

لقد تخلص الشغيلة من مضطهديهم ومستثمريهم المزمنين ، الملاكين العقاريين والرأسماليين . وهذه الخطوة الى الامام التي خطتها الحرية الحقيقية والمساواة الحقيقية ، هذه الخطوة التي لا سابق لها من حيث كبرها ومداها وسرعتها ، لا يأبه لها انصار البرجوازية (بمن فيهم الديموقراطيون البرجوازيون الصغار) ، الذين يتحدثون عن الحرية والمساواة بمعنى الديموقراطية البرجوازية البرلمانية ناعتين اياها ، بلا مبرر ، «بالديموقراطية» بوجه عام او «بالديموقراطية الخالصة» (كاوتسكي) .

ولكن الشغيلة يأبهون للمساواة الحقيقية والحرية الحقيقية بالذات (الحرية بمعنى انهم تخلصوا من الملاكين العقاريين والرأسماليين) ، ولهذا يؤازرون السلطة السوفييتية بمثل هذا الحزم والثبات .

في هذا البلد الفلاحي ، كان الفلاحون بوجه عام هم اوائل من افادوا من ديكتاتورية البروليتاريا ، واكثر من افادوا ، وفي الحال . ففي روسيا الملاكين العقاريين والرأسماليين كان الفلاح يعاني الجوع . وخلال قرون طويلة من تاريخنا ، لم تتوفر قط للفلاح امكانية العمل من اجل نفسه : فكان يعاني الجوع مع تقديمه في الوقت نفسه مئات الملايين من بودات الحبوب الى الرأسماليين والى المدن والى الخارج . اما في ظل ديكتاتورية البروليتاريا ، فان الفلاح يشتغل من اجل نفسه **للمرة الاولى** ، **ويتغذى احسن من سكان المدن** . وللمرة الاولى ، رأى الفلاح الحرية في الواقع : حرية أكل خبزه ، حرية عدم معاناة الجوع .

وان المساواة القصوى مطبقة ، كما هو معلوم ، عند توزيع الاراضي : ففي الاغلبية الساحقة من الحالات ، يتقاسم الفلاحون الارض حسب «عدد الافواه» .

الاشتراكية إنما هي محو الطبقات .

ولاجل محو الطبقات ، ينبغي ، اولاً ، اسقاط الملاكين العقاريين والرأسماليين . هذا القسم من المهمة نفذناه ، ولكنه ليس سوى قسم ، كما انه **ليس** بالقسم الاصعب . فلاجل محو الطبقات ، ينبغي ، ثانياً ، محو الفرق بين العامل والفلاح ، ينبغي تحويل **الجميع الى شغيلة** . وهذه المهمة لا يمكن تحقيقها دفعة واحدة . وانها لمهمة اصعب بما لا حد له ، وهي ، بالضرورة ، مهمة طويلة النفس . هذه المهمة لا يمكن اداؤها باسقاط طبقة ما . هذه المهمة لا يمكن اداؤها الا باعادة تنظيم كل الاقتصاد الاجتماعي ، الا بالانتقال من الاقتصاد البضاعي الصغير ، الفردي ، المنعزل ، الى الاقتصاد الاجتماعي الضخم . وهذا الانتقال هو ، بالضرورة ، طويل جداً . ان التدابير التشريعية والادارية المتخذة بتسرّع وتهوّر لا تؤدي الا الى تأخير هذا الانتقال والى عرقلته . وليس بوسعنا ان نعجل في هذا الانتقال الا اذا اسدينا للفلاح مساعدة من شأنها ان تحسن كل ترسانة الاعتدة الزراعية الى حد كبير وان تغيرها بشكل جذري .

لاجل اداء القسم الثاني من المهمة ، وهو القسم الاصعب ، ينبغي على البروليتاريا ، بعد ما تغلبت على البرجوازية ، ان تتبع بثبات الخطة الاساسية التالية في سياستها ازاء جماهير الفلاحين : ينبغي على البروليتاريا ان تميز ، ينبغي لها ان تفصل بين الفلاح الشغيل والفلاح المالك ، – بين الفلاح الشغيل والفلاح التاجر ، – بين الفلاح الكادح والفلاح المضارب .

ففي هذا التمييز يتلخص **كل جوهر** الاشتراكية .

فلا غرابة اذا كان الاشتراكيون بالقول ، والديموقراطيون البرجوازيون الصغار بالفعل (مارتوف وتشيرنوف (٣) وكاوتسكي وشركاؤهم او اضرابهم) لا يدركون جوهر الاشتراكية هذا .

ان التمييز المشار اليه هنا هو امر صعب جداً لان سمات «الفلاح» ، مهما كانت متباينة ومتناقضة ، تنصهر في كل واحد في

واقع الحياة. غير ان التمييز ممكن مع ذلك، وليس هذا وحسب، بل انه ينجم حتماً من ظروف الاقتصاد الفلاحي والحياة الفلاحية. الفلاح الشغيل قد ظل طوال قرون عرضة لاضطهاد الملاكين العقاريين، والرأسماليين، والتجار، والمضاربين ودولتهم، بما في ذلك اوفر الجمهوريات البرجوازية ديموقراطية. وطوال قرون، تربّى الفلاح الشغيل على الحقد والعداء تجاه هؤلاء الظالمين والمستثمِرين، وهذه «التربية» في مدرسة الحياة **تحمل** الفلاح على السعي وراء التحالف مع العامل ضد الرأسمالي، ضد المضارب، ضد التاجر. وفي الوقت نفسه، نرى ان الوضع الاقتصادي، وضع الاقتصاد البضاعي، يجعل بالضرورة من الفلاح تاجراً ومضارباً (لا في جميع الحالات، بل في الاكثرية الساحقة منها).

ان الاحصاءات التي اوردناها آنفاً تبين بجلاء الفرق بين الفلاح الشغيل والفلاح المضارب. فالفلاح الذي اقدم في ١٩١٨-١٩١٩ على تسليم عمال المدن الجائعين ٤٠ مليون بود من الحبوب باسعار ثابتة، باسعار الدولة، -والذي سلم هذه الكمية من الحبوب الى هيئات الدولة رغم ما لدى هذه الهيئات من نواقص كانت حكومة العمال تعرفها تماماً ولكن لم يكن بوسعها ازالتها في بداية مرحلة الانتقال الى الاشتراكية، -هذا الفلاح هو فلاح شغيل، هو رفيق حقيقي للعامل الاشتراكي، وآمن حليف له، واخوه في النضال ضد نير الرأسمال. ولكن الفلاح الذي باع سراً ٤٠ مليون بود من الحبوب بسعر يزيد الى عشر مرات عن سعر الدولة مستغلاً بؤس عمال المدن وجوعهم، وخدع الدولة، وشدّد وولّد، في كل مكان، الخداع والنهب والغشّ، ان هذا الفلاح هو مضارب، هو حليف للرأسمالي، هو عدو طبقي للعامل، هو مستثمِر. اذ ان امتلاك فوائض من الحبوب، جمعت في الارض التي هي ملك الدولة، وبواسطة ادوات استهلك صنعها، بهذه الصورة او تلك، لا كدح الفلاح وحسب، بل ايضاً كدح العامل، والخ.، ان امتلاك فوائض من الحبوب والمضاربة بها، انما يعنيان استثمار العامل الجائع.

انكم تخرقون الحرية والمساواة والديموقراطية ، — هكذا يصرخون بنا من جميع الجهات ، مستشهدين بعدم المساواة بين العامل والفلاح حسب دستورنا وبحلّ الجمعية التأسيسية (٤) ، وبانتزاع فوائض الحبوب عنوة ، الخ . . وانا لنرد قائلين : لا مثيل في العالم لدولتنا التي حققت مثل هذا القدر الكبير من الاجراءات لاجل محو اللامساواة الفعلية واللاحرية الفعلية اللتين طالما عانى منهما الفلاح الكادح طوال قرون . بيد اننا لن نعترف ابداً بالمساواة مع الفلاح المضارب ، كما اننا لا نقرّ «بالمساواة» بين المستثمِر والمستثمَر ، بين الشبعان والجائع ، ولا نقرّ «بحرية» الاول بان ينهب الثاني . وسنعامل اولئك المتعلمين الذين لا يريدون ادراك هذا الفرق كما نعامل افراد الحرس الابيض ، ولو كان هؤلاء يزعمون انهم ديموقراطيون واشتراكيون واميون ، ولو كانوا من اضراب كاوتسكي وتشيرنوف ومارتوف واتباعهم .

٥

الاشتراكية انما هي محو الطبقات . وقد قامت ديكتاتورية البروليتاريا بكل ما في وسعها من اجل محو الطبقات . بيد انه من المستحيل محو الطبقات دفعة واحدة .

فالطبقات **ما تزال باقية وستبقى** طوال عهد ديكتاتورية البروليتاريا . وعندما تزول الطبقات ، تصبح الديكتاتورية عديمة الجدوى . ولكن الطبقات لن تزول بدون ديكتاتورية البروليتاريا .

ان الطبقات ما تزال باقية ، ولكن كل طبقة تغيرت في عهد ديكتاتورية البروليتاريا ؛ كذلك تغيرت العلاقة بين الطبقات . ان النضال الطبقي لا يزول في عهد ديكتاتورية البروليتاريا ، بل يرتدي اشكالاً اخرى .

في ظل الرأسمالية ، كانت البروليتاريا طبقة مظلومة ، طبقة محرومة من كل ملكية لوسائل الانتاج ، الطبقة الوحيدة المجابهة للبرجوازية كلياً ومباشرة ، وبالتالي ، الطبقة الوحيدة القادرة على

ان تكون ثورية للنهاية . ولقد اصبحت البروليتاريا ، الطبقة **السائدة** ، بعدما اسقطت البرجوازية واستولت على السلطة السياسية : فهي تمسك بيدها زمام سلطة الدولة ، وتتصرف بوسائل الانتاج التي تمت جتمعتها ، وتوجّه الطبقات والعناصر المترددة ، المتوسطة وتقمع مقاومة المستثمِرين التي ازدادت شدة . تلك هي المهمات **الخاصة** بالنضال الطبقي ، المهمات التى لم تطرحها البروليتاريا ولم يكن بوسعها ان تطرحها فيما مضى .

ان طبقة المستثمِرين ، الملاكين العقاريين والرأسماليين ، لم تزل ولا يمكن ان تزول دفعة واحدة في ظل ديكتاتورية البروليتاريا . لقد تم هزم المستثمرين ولكنه لم يتم القضاء عليهم بعد . فلا تزال لهم قاعدة عالمية ، هي الرأسمال العالمي ، هم له بمثابة فرع تابع . ولا يزال لهم بعض من وسائل الانتاج ؛ ولا يزال لهم المال ، ولا تزال لهم علاقات اجتماعية واسعة جداً . ولقد ازدادت مقاومتهم شدة مائة مرة بل الف مرة ، وذلك بسبب من هزيمتهم بالضبط . ان «تفننهم» في تصريف شؤون الدولة والشؤون العسكرية والاقتصادية يؤمن لهم تفوقاً هائلاً بحيث يصبح وزنهم اكبر بما لا حد له من النسبة التي يمثلونها في مجمل السكان . والنضال الطبقي الذي يخوضه المستثمِرون المقهورون ضد طليعة المستثمَرين الظافرة ، اي ضد البروليتاريا ، قد تفاقم الى ما لا قياس له . ولا يمكن ان يكون الامر على غير ذلك اذا تحدثنا عن الثورة ، اذا لم نستعض عن هذا المفهوم بالاوهام الاصلاحية (كما يفعل جميع ابطال الاممية الثانية) .

واخيراً نرى ان جماهير الفلاحين ، شأنهم شأن كل برجوازية صغيرة بوجه عام ، يشغلون في ظل ديكتاتورية البروليتاريا **ايضاً** مركزاً وسطياً او بين بين : فهم يمثلون ، من جهة ، جمهوراً كبيراً جداً (هائلاً في روسيا المتأخرة) من الشغيلة يوحده ما لدى الشغيلة من مصلحة مشتركة في التخلص من الملاك العقاري ومن الرأسمالي ؛ وهم ، من جهة اخرى ، ارباب عمل صغار منفردون وملاكون وتجار . ان هذا

الوضع الاقتصادي يجعلهم ، لا محالة ، يترددون بين البروليتاريا والبرجوازية . والحال ، في غمرة النضال الضاري القائم بين البروليتاريا والبرجوازية ، وفي جو من تحطيم جميع العلاقات الاجتماعية بشدة فائقة ، وكذلك بحكم العادة المتأصلة على وجه الضبط بين الفلاحين والبرجوازيين الصغار بوجه عام ، عادة التمسك بما هو قديم ، ورتيب ، وثابت ، كان من الطبيعي والحتمي تماماً ان نلاحظ بينهم التنقلات من معسكر الى آخر ، والترددات والانعطافات والشكوك ، الخ . .

فيما يخص هذه الطبقة – او هذه العناصر الاجتماعية – تتلخص مهمة البروليتاريا في قيادتها ، والنضال في سبيل ممارسة التأثير عليها . على البروليتاريا ان تجتذب وراءها المترددين والمتقلقلين .

واذا قارنا بين جميع القوى او الطبقات الاساسية وبين نسبة قواها التي غيرتها ديكتاتورية البروليتاريا ، رأينا اي حمق نظري لا حد له ، واية سخافة يجسدهما هذا التصور البرجوازي الصغير الشائع القائل بالانتقال الى الاشتراكية «عبر الديموقراطية» بوجه عام ، والذي نراه عند جميع ممثلي الاممية الثانية . اما مصدر هذا الخطأ ، فهو الوهم الموروث عن البرجوازية حول مضمون «الديموقراطية» المطلق ، اللاطبقي . اما في الواقع فان الديموقراطية تدخل هي ايضاً في طور جديد تماماً في ظل ديكتاتورية البروليتاريا كما يرتقي النضال الطبقي الى درجة اعلى ، مخضعاً لنفسه كل الاشكال على اختلافها .

ان التعابير العامة حول الحرية والمساواة والديموقراطية انما هي في الواقع تكرار اعمى للمفاهيم المقتبسة من علاقات الانتاج البضاعي . فان الاعتماد على هذه التعابير العامة في اداء المهام الملموسة لديكتاتورية البروليتاريا ، يعني التبني التام لموقف البرجوازية النظري ، المبدئي . ومن وجهة نظر البروليتاريا لا يمكن طرح المسألة الا على النحو التالي : الانعتاق من الاضطهاد من جانب اي من الطبقات ؟ مساواة اية طبقة مع اي من الطبقات ؟ الديموقراطية على اساس الملكية الخاصة ام على اساس النضال في سبيل الغاء الملكية الخاصة ؟ الخ . .

لقد بين انجلس منذ زمن بعيد ، في كتابة «ضد دوهرينغ» ، ان مفهوم المساواة المقتبس من علاقات الانتاج البضاعي ، يتحول الى وهم اذا لم يفهم المرء المساواة بمعنى **محو الطبقات** (٥) . ان هذه الحقيقة الاولية حول ما يميز مفهوم المساواة الديموقراطي البرجوازي عن مفهومها الاشتراكي ، تنسى على الدوام . والحال ، اذا لم تنس هذه الحقيقة ، يغدو من البديهي ان البروليتاريا التي اسقطت البرجوازية تحقق بذلك خطوة في غاية الحزم نحو محو الطبقات ، وانه ينبغي على البروليتاريا ، من اجل انجاز هذه المهمة ، ان تواصل نضالها الطبقي مستخدمة جهاز سلطة الدولة ومطبقة شتى اساليب النضال والتأثير والعمل ازاء البرجوازية المقلوبة والبرجوازية الصغيرة المترددة .

(للبحث صلة * .)

٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ .

«البرافدا» ، العدد ٢٥٠ و«ازفيستيا فتسيك» («انباء اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا»)، العدد ٢٥٠ ، ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩

---

* المقال لم يكتمل . **الناشر** .

ملاحظات

١ ـ **الاممية الثانية** ـ اتحاد عالمي للاحزاب الاشتراكية تاسس عام ١٨٨٩ . عندما بدأت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) ، خان زعماء الاممية الثانية قضية الاشتراكية ، وانتقلوا الى جانب حكوماتهم الامبريالية ، فانهارت الاممية الثانية . التحقت الاحزاب والجماعات اليسارية ، التي كانت منضمة من قبل الى الاممية الثانية ، بالاممية الشيوعية (الاممية الثالثة) التي تأسست في موسكو عام ١٩١٩ .

اعيدت الاممية الثانية في مؤتمر برن (سويسرا) في العام نفسه ، عام ١٩١٩ . ولكن لم ينضم اليها غير الاحزاب التي كانت تمثل الجناح اليميني ، الانتهازي ، من الحركة الاشتراكية . ـ ص ٤ .

٢ ـ **ماكدونالد** (MacDonald) **جيمس رمسي** (١٨٦٦ـ١٩٣٧)ـشخصية سياسية انجليزية . من مؤسسي وزعماء حزب العمال المستقل والحزب اللايبوري (حزب العمال) . برز ماكدونالد في نشاطه وفي مؤلفاته بوصفه ايديولوجي الاصلاحية وناشر نفوذ البرجوازية في صفوف الطبقة العاملة .

لونغه (Longuet) **جان** (١٨٧٦ـ١٩٣٨) ـ احد زعماء الحزب الاشتراكي الفرنسي والاممية الثانية . كاتب اجتماعي وسياسي . عارض انضمام الحزب الاشتراكي الفرنسي الى الكومنترن (الاممية الشيوعية) وتاسيس الحزب الشيوعي .

كاوتسكي (Kautsky) **كارل** (١٨٥٤ـ١٩٣٨) ـ احد زعماء الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية . في البدء ،

ماركسي ؛ فيما بعد (عام ١٩١٠) ، شكل في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية فريق «الوسط» ؛ وقف هذا الفريق ضد الماركسية الثورية .

آدلر (Adler) **فريدريخ** (١٨٧٩-١٩٦٠) - زعيم الجناح اليميني في الاشتراكية-الديموقراطية النمساوية . بعد ثورة ١٩١٨ في النمسا انتقل الى جانب الثورة المضادة . - ص ٤ .

٣ - **مارتوف ليف (تسيدرباوم يو . او .)** (١٨٧٣-١٩٢٣) - احد زعماء المنشفية . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية وقف ضد السلطة السوفييتية .

تشيرنوف فكتور ميخايلوفيتش (١٨٧٦-١٩٥٢) - احد زعماء ونظريي حزب البرجوازية الصغيرة ، حزب الاشتراكيين الثوريين . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، احد منظمي الفتن المعادية للسوفييت . - ص ١٠ .

٤ - اعلنت الحكومة الموقتة البرجوازية التي تشكلت في روسيا بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية (عام ١٩١٧) عن عزمها على عقد الجمعية التاسيسية ، ولكن الانتخابات الى الجمعية التاسيسية ارجئت غير مرة .

لم تنعقد الجمعية التاسيسية الا بدعوة من السلطة السوفييتية ، في ٥ (١٨) كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ . جرت الانتخابات الى الجمعية التاسيسية بموجب قوائم مشكلة قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ولم تكن تعكس بالتالي النسبة الجديدة التي نشأت بين القوى السياسية في البلاد بعد الثورة . فاز الاشتراكيون-الثوريون اليمينيون والمناشفة باغلبية المقاعد .

بعد ان رفضت الاغلبية المعادية للثورة قبول «اعلان حقوق الشعب الشغيل والمستثمَر» الذي تقدمت به الحكومة السوفييتية ، وكذلك المصادقة على مرسوم السلام ومرسوم الارض اللذين اتخذتهما السلطة السوفييتية ، قررت اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا حل الجمعية التاسيسية . وقد لقي هذا القرار التحبيذ والتاييد من جانب الجماهير الواسعة من العمال والجنود والفلاحين في روسيا . - ص ١٢ .

٥ - فريدريك انجلس . «ضد دوهرينغ» ، الفصل العاشر . «الاخلاق والحقوق . المساواة» . - ص ١٥ .

الى القراء

ان دار التقـــدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمـــة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ١٧
موسكو ــ الاتحاد السوفييتي

دار التقدم • موسكو

Mouyn